

النزعة الرومانتيكية في القرن ١٩

في هذه المحاضرة الخاصة بالنزعة الرومانتيكية في القرن التاسع عشر سوف أركز فيها على نقطتين أساسيتين، أولى النقطتين تاريخ الحركة الرومانتيكية، وهذه نقطة هامة للغاية. وثانيهما طبيعة الرومانتيكية. والآن سأعرض عليكم النقطة الأولى أو الموضوع الأول في الرومانتيكية.

أولاً: تاريخ الحركة الرومانتيكية:

يضرب العالم الرومانتيكي بجذوره بعمق في القرن الثامن عشر، بل وحتى في القرن السابع عشر، ويعد العالم الرومانتيكي عادة حركة تقف في مواجهة التنوير مثلما يقال أيضاً أن التنوير يعد مضاداً للنظام المسيحي.

لقد كشفت الرومانتيكية عن أفكار جديدة لم تعرف القرون السابقة عنها شيئاً. فانصب اهتمامها حول الأحلام والاشعور، وهذه الأمور وغيرها تقف كلها في مواجهة الميول التنويرية في القرن الثامن عشر. لقد ظهرت الرومانتيكية ليس عند الشعراء فحسب وإنما كذلك عند الفلاسفة.

والرمانتيكيون الأمريكيون قد جمعوا بين الرومانتيكية والترنسندننتالية مثال ذلك ثورو وأمرسون. ولندكر في النهاية الرومانتيكيين الانجليز كارليل كارلايل وراسكن. نقد كارلايل اللاهوت التطهري الاسكتلندي ولم

ينقد الأخلاق ووجد عند جوته الحس الكلي الناقض في الحياة الاجتماعية في العصر الفكتوري وهو ما شاعت فيه النفعية عند الفلاسفة الاجتماعيين.

ونقد راسكن المجتمع البرجوازي وأخلاقه الطفيلية المنحطة من وجهة النظر الدينية المحافظة ووجد أن إرادة الرأسمالية هي سبب الحرب العدوانية، ومثله الأعلى هو الإنتاج الأبوي الحرفي أو المهني. الخ.

وعند ميل أن الرومانتيكية تمثل رد الفعل ضد ضيق القرن الثامن عشر. واعتقد ميل أيضاً أن الرومانتيكية قد تمردت على الضيق في جبهات متعددة، في الفلسفة والعلم، والفكر التاريخي والسياسي، وفي الشعر والدراما أيضاً.

والجدير بالذكر هنا أنه في مقابل عالم نيوتن بأنواره البراقة قدم الرومانتيكيون عالمهم الليلي. حيث نجد أن الليل يقابل النهار أو النور، ويعني "إرتفاع الأجنحة الثقيلة للروح" والارتفاع بها إلى ما وراء الزمان والمكان إلى مجالات لا متناهية. تلك هي طبيعة الرومانتيكية، هذه هي الطبيعة الفريدة من نوعها والمعارضة للفكر التنويري الذي غطى القرن الثامن عشر.

وقد اهتم الرومانتيكيون باللامعقول، واهتموا بما هو متميز وما هو متفرد، كما أنهم كانوا على وعي شديد بأنهم يحيون في عالم خلق وتغير.

ثانياً: طبيعة النزعة الرومانتيكية:

كانت الثورة الفرنسية عاملاً حاسماً في تغيير المعتقدات السائدة وتمثل رد الفعل ضد المذهب العقلي في الرومانتيكية. والرومانتيكية تعنى في الكتابة التاريخية حتمية الارتداد باتجاه الظلامية، وارتبطت إلى حد بعيد بذلك التحرك في الفلسفة السياسية والاجتماعية. فبطلان المذهب العقلي للعالية وإمكانية تغيير النظم الاجتماعية عن طريق استعمال الفروض البديهية للعقل المجرد التي أثبتت حوادث الثورة الفرنسية فساده وعدم جدواه، في هذا الجو نشأت الرومانتيكية كرد فعل ضد المذهب العقلي، وطالبت بالعودة إلى العصور الغابرة.

وبالعودة إلى الأفكار الرومانتيكية التابعة لفكرة الطبيعة بوصفها مجموعة عضوية حية نجد أن الفكرة الرومانتيكية للطبيعة يمكن أن تتحد وكانت متحدة مع الإدراك الظاهر للتطور التاريخي والحضاري المتواصل، وأهمية مراحل الماضي الحضارية لاكتشاف إمكانية الروح الإنسانية.

يؤكد كاسيرر أنه يوجد خط متصل يربط بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ويتمثل عنده في نقطة أساسية مشتركة وهي استخدام منهج النقد التاريخي الحديث.

ونرى أن الرومانتيكية قدرت المشاعر والعواطف حق قدرها، وتمثل هذا في تعاطفهم مع عصور الماضي،

فالإنسان الرومانتيكي أرحب بكثير من الإنسان التنويري العقلاني المحدد.

لقد كان الرومانتيكيون يعيشون أوقات تغير سريعة، ورأوا حماقة في الانقطاع بصورة كاملة عن الماضي، وحماقة في الوثوق في العقل المجرد أكثر من التاريخ. وتعلموا توقيير أسلافهم أكثر من الرثاء عليهم، بهذا يختلف الرومانتيكيون عن فلاسفة عصر التنوير، فلم يعد العقل مجرداً عن الأحداث محل اهتمامهم. إنهم ينزعون إلى عصور الماضي وتوقيير أسلافهم. ولكن العصور الوسطي بالذات كانت وحدها هي التي استهوت الرومانتيكيون.

والرومانتيكية لا تنظر إلى الماضي على أنه مجرد وقائع بل هو مثل من أسمى المثل. بينما فلاسفة القرن الثامن عشر يعودون إلى الماضي بهدف الاستعداد لمستقبل أفضل. وعندهم أن دراسة التاريخ ليست غاية في ذاتها، والتاريخ لن يعلمنا إلا ما حدث.

والنقطة التي نود التركيز عليها هي أن الرومانتيكيين يناهضون التحليل العقلي المباشر ويهتمون بالجوانب اللاشعورية للتطور الثقافي في أي أمة وهم من هذه الجهة يختلفون عن العقليين.

وأخيراً نطرح هذا السؤال قارن بين فلسفات عصر التنوير [فلسفات القرن الثامن عشر وبين الرومانتيكية [القرن التاسع عشر]؟

